الجاليات الأجنبية ودورها الاجتماعي في مصر (١٨٠٥-١٨٤٨)

أ.د. حازم مجيد أحمد الدوري
جامعة سامراء- كلية التربية

الباحث: محمد أمجد صالم الدهان
المديرية العامة لتربية صلاح الدين
قسم تربية سامراء

الملخص

اتسم المجتمع المصري في عهد محمد علي باشا بتوافد العديد من الجاليات الاجنبية التي منحت تواجداً اقتصادياً في بادئ الامر، ثم اصبح هذا التواجد يؤثر في النواحي الاجتماعية في مصر، ولاسيما بعد قيام محمد علي باشا بالاعتماد عليهم من اجل نهضة وتقدم مصر، وادرك بأن اية حركة اصلاحية لا تتحقق غاياتها الا بالعلم والمعرفة، لذلك اعطى للأجانب دوراً بارزاً فيه وعدّوهم(معلمين بالنيابة)، اذ منحوا امتيازات وتسهيلات مكنتهم من العيش بسلام ومزاولة اعمالهم بكل حرية، ونتج عن هذا ان اصبح تأثيرهم واضح على معظم الجوانب الاجتماعية كالطب وبناء المستشفيات وفق النظم الاوربية الحديثة، كذلك أثرت العادات والتقاليد الاجنبية على المجتمع المصري، حتى وان كان هذا التأثير بشكل بسيط، اذ لا يتم قياس بعض السلبيات الخاصة داخل المجتمع واعطائها صفة العمومية، لكون البيئة التي عاش فيها الاجانب داخل مصر هي بيئة اسلامية متماسكة، على العكس من ذلك نرى ان العادات والتقاليد العربية قد اثرت بشكل كبير على تلك الجاليات، ومثال على ذلك ان بعض من وفد الى مصر قد اعتنق الاسلام او ادعى اسلامه كما فعل نابليون ايام الحملة الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: مصر، محمد علي باشا، الجاليات، التعليم والبعثات العلمية، العادات والتقاليد الاجنبية.

Foreign Communities and their Social Development in Egypt (1805-1848)

Mohammed Amjad Saleh Aldhan
Directorate General of Education in Salahalddin
Samarra Education Department
Prof Dr. Hazim Majeed Ahmed Aldouri
University of Samarra- College of Education

Abstract

The Egyptian society in the era of Mohammed Ali Pasha influx of many foreign communities that gave economic presence at first, and then this presence affects the social aspects in Egypt, especially after the Mohammed Ali Pasha relying on them for the renaissance and progress of Egypt, and I know that any movement They gave them the privileges and facilities that enabled them to live in peace and practice their work freely. This resulted in their obvious impact on most social aspects such as medicine and building hospitals according to the European systems. Moreover, foreign customs and traditions have affected Egyptian society, even if this influence is simple. Some of the special negatives within the society are not measured and given a public status, because the environment in which foreigners lived in Egypt is a cohesive Islamic environment. Arab customs and traditions have greatly affected these communities, for example, some of the delegation to Egypt had converted to Islam or claimed Islam as Napoleon did during the French campaign.

Keywords: Egypt, Mohamed Ali Pasha, Communities, Education and Scientific missions, Foreign Customs and Traditions.

المقدمة

عُدّت الشخصية المصرية مميزة لكونها صاحبة عمق تاريخي يمتد عبر أزمان بعيدة، حددت من خلالها طبيعة تكوينها في ظل المتغيرات التي طرأت عليها، نتيجة لتأثير العامل الخارجي سلبياً كان ام ايجابياً، فتغير الشكل ولم تتغير الروح، فلبس المصري ملابس الاغريق والرومان وغيرهم، لكن جذوره وعاداته وتقاليده وموروثه الحضاري ظل محافظاً عليه.

مهما يكن من الامر، فأنه مع بداية القرن التاسع عشر بدت معالم النهوض الحضاري عند المصريين ولاسيما وانهم امام عالم حضاري اوربي على درجة عالية من التقدم فكان لابد من مواكبته بكل الوسائل لتحقيق شيئاً من التطور، وقد برز ذلك الوضع بعد خروج الحملة الفرنسية وما الت اليه الاحداث من نزاعات وصراعات حول السلطة، بعد قرار الوالي محمد علي باشا اخراج المماليك من بيوتهم في القاهرة، بعدما اثاروا المشاكل والفتن داخلها، اذ اثر ذلك على التركيبة الاجتماعية داخل القاهرة، لكون اولئك اصبحوا جزءاً منها.

فضلاً عن تلك التداعيات الاجتماعية والتوجهات الجديدة في عهد محمد علي باشا كان على المصريين تقبل نمطاً جديداً للحياة واحداث تغيرات جذرية في التركيبة الاجتماعية، اذ شكل الاجانب مورداً بشرياً مؤثراً في الحياة الاجتماعية، بعدما منحتهم غاياتهم الاقتصادية تواجداً مكثفاً في مصر، ولم يقتصر ذلك التواجد على احتكاكهم بالمجتمع المصري فقط، وانما بمشكلات الحياة الاجتماعية في هذا البلد.

منحت الامتيازات الاجنبية البيئة المناسبة للأجانب في الاستقرار في مصر، عندما اصبحت الهجرة اليها غير مقيدة، وبطبيعة الحال فأن تلك الاعداد الكبيرة من الاجانب قد احتوت على العناصر الطيبة والعناصر السيئة، اذ نقل الاجانب اليهم المدنية الاوربية بخيرها وشرها، بمحاسنها ومساوئها.

أنَّ الصفة المميزة لمجتمعات مصر في تلك المدة كانت تنضوي تحت مفهوم الاندماج الحضاري للشعوب، فلا يمكن ان تنهض امة لوحدها دون ان تتعرف على مثيلاتها وما وصلت اليه من تقدم ورقي، والا فأن بدون هذا التواصل الفكري والحضاري لأصبحت امةٌ منطوية على نفسها ومصيرها الاضمحلال.

اقتضت الضرورة تقسيم البحث على اربعة محاور، تناول المحور الاول التعليم والبعثات العلمية، وفي المحور الثاني الطب وبناء المستشفيات، ركز المحور الثالث على التركيبة الاجتماعية، واخيراً في تناول المحور الرابع الملابس والعادات والتقاليد الاجنبية في مصر، وبما أنَّ العلم والتعليم اساس المجتمعات المتطورة، والتي حظيت به مصر بنصيب كبير بالنسبة

لإصلاحات محمد علي باشا الداخلية عن طريق الاستعانة بالخبرات الاجنبية، فنرى في ذلك من الواجب ان نقدم هذه المسألة على بقية النواحي الاجتماعية بوصفها الركن الاساس في نهضة اي بلد.

أولاً: التعليم والبعثات العلمية

أدرك محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) ان كل حركة اصلاحية ترمي الى تكوين امة متماسكة قادرة على مواكبة التطورات العالمية لا تتحقق غاياتها الا بالعلم والمعرفة، لهذا اقدم على وضع اسس متينة من أجل تطوير هذا الجانب عن طريق الاستعانة بالخبرات الاجنبية باعتبارهم (معلمين بالنيابة) يحل محلهم الوطنيون تدريجياً بعد تطوير قدراتهم العلمية[١].

بدأت نهضة محمد علي العلمية بأنشاء المدارس العالية وايفاد البعثات، ثم اهتم بعد ذلك بالتعليم الابتدائي[٢]، ونرى في ذلك ان الباشا اراد الاسراع في استقطاب الخبرات وتطوير المهارات المصرية دون انتظار الاجيال، ليواكب عجلة التقدم التي شهدتها الدول الاوربية.

حيث بدأ بأنشاء اول مدرسة للهندسة عام ١٨١٩ سميت (مدرسة الهندسة ببولاق)[٣]، وكان التعليم فيها مجاناً، اضافة الى قيام الدولة بإعطاء رواتب شهرية للتلاميذ، وفي بادئ الامر استعان الباشا بأساتذة اجانب وبعده تم الاستعانة بالمصريين الذين اوفدهم الى دول العالم[٤].

ومن أجل ان يكون للوطنيين المصريين كل مزايا الاجانب، ارسل الباشا البعثات العلمية والصناعية الى الدول الاوربية لتعلم فروع العلم المختلفة، ويذكر ان هذه البعثات قد كلفت الدولة اكثر من (٣٠٠٣) الف جنيه[٥].

ولم يقتصر تمويل تلك البعثات على الحكومة المصرية فحسب، وانما اقدم العديد من المصريين الى السفر والدراسة في الدول الاجنبية وعلى نفقتهم الخاصة، لذلك توالت البعثات المصرية نحو دول العالم المتقدمة[٦]، بعدما اقنع القنصل الفرنسي دروفتي (Droveit) الباشا بفائدة تلك البعثات، ذكر في ذلك الامير عمر طوسون في بداية كتابه عن البعثات العلمية **((ابتدأ محمد علي ينفذ ما في خاطره فأنشأ المدارس في القطر على مثال المدارس في اوربا واستعار لها الاساتذة من هناك، وساق اليها التلاميذ قسراً، لكنه حس ان كل هذا لم يفي بالغرض... فهدته فكرة الى الحل الصحيح بأن يبعث البعوث من الشبان الذين اهلتهم معاهد العلم بمصر الى اوربا ليتمموا دراستهم بها ويتخصصوا في العلوم التي ليس فيها من المصريين اخصائيون))**[٧].

فكانت اول بعثة علمية ارسلها الباشا الى ايطاليا عام ١٨٠٩[٨]، وثاني بعثة عام ١٨١٣، إذ شملت هذه البعثة مدن ليفورن، وميلان، وفلورنسا، وروميه، وغيرها من المدن الايطالية من أجل دراسة الفنون العسكرية وبناء السفن والهندسة والطباعة، فكانت الثمرة انشاء المطبعة الحكومية في عام ١٨١٥، ليتم من خلالها نشر الدراسات والابحاث الاوربية الحديثة في مصر[٩]، ومن اشهر من بعثهم نقولا مسابكي افندي، الذي تعلم فن الطباعة بعدما مكث اربع

سنوات في ميلان، وبعد عودته الى مصر تولى ادارة مطبعة بولاق عام ١٨٢١[١٠]، ويذكر ان تلك المطبعة انشأت لأول مرة في تاريخ مصر، اذ بدأت بطبع الكتب باللغات العربية والفارسية والتركية، بحيث وصل عدد هذه الكتب حوالي (٢٤٣) كتاب، منها (١٩٨) كتاب باللغة العربية والفارسية والتركية، اختصت بالعلوم الاسلامية، والباقي (٤٥) كتاب تم ترجمتها من اللغة الفرنسية والانكليزية الى اللغة العربية، واكثر الذين ترجموا تلك الكتب من الذين درسوا في المدرسة التي انشأها محمد علي باشا في باريس[١١]. ينظر الملحق (١).

أما البعثة الثالثة فأرسلت الى فرنسا بعد ان تحول نظر الباشا الى هذا البلد، فأرسل طائفة من التلاميذ عام ١٨١٨، ومن أشهر من بعثهم عثمان نور الدين افندي، الذي ارسله الباشا لإتقان الفنون الحربية والبحرية، وقد عاد الى مصر عام ١٨٢٠ وشغل مناصب عسكرية عدة[١٢].

ثم أرسل الباشا بعد ذلك البعثة المصرية الرابعة الى فرنسا عام ١٨٢٦ تحت ادارة المسيو جومار Goemar[١٣]، الذي عمل على انشاء (المدرسة المصرية بباريس) التي اختصت بتعليم المصريين مختلف العلوم، وقد ذكر جومار تفاصيل هذه الدراسة في الصحيفة الاسيوية باللغة الفرنسية Journal Asiatique اسماء المبعوثين واعمارهم ودرجة ثقافتهم واختصاصاتهم ونتائج امتحاناتهم، وقد تنبأ المسيولكثيراً منهم بالنبوغ، ومنهم رفاعة رافع الطهطاوي الذي لقب بأبي الترجمة، ومصطفى مختار، وأرتين، وأسطفان، وغيرهم[١٤].

والحقيقة ان الباشا اراد من تلك البعثات ان ينقل من اوربا علومها ونظمها التعليمية والاقتصادية وفنونها ووسائل تقدمها، اذ ادرك ان من الحكمة عدم الاعتماد على الاجانب وابقاء اهل البلاد في معزل، واراد ان يقود المصريين بأنفسهم حركة النهضة الحديثة للبلاد[١٥]، اذ كانت الثمرة في ذلك صدور اول جريدة مصرية على نطاق العالم العربي، وهي جريدة (الوقائع المصرية) عام ١٨٢٨ والتي كان لها الاثر الكبير في نقل التطور والتحديث الى باقي الدول العربية[١٦]، اذ اول من نشر فيها الشيخ حسن العطار، الذي كان له الفضل الاكبر في انتعاش الاداب والدراسات الانسانية العربية في تلك المدة، حتى اصبح عام ١٨٣١ شيخ الجامع الازهر، الامر الذي توافد من خلاله العديد من طلاب العلم الى مصر[١٧].

لقد وضب الباشا كل امكانياته من أجل تطوير المؤسسة التعليمية التي عدها الاساس في تطوير مؤسساته الاخرى، العسكرية والمدنية، وسار في بناء المدارس على وفق الاساليب التي انتهجها نابليون في فرنسا، ذكر هربرت فيشر Herbort Feasher **((ان المدارس كانت عبارة عن ثكنات للجنود، فالطلبة يرتدون السترة العسكرية ويخضعون لنظام عسكري))**[١٨]، ونرى في ذلك ان الباشا اراد بناء نظام تعليمي قائم على تطوير الجانب العسكري.

أفادت هذه العناية حركة المجتمع المصري وطورت فعالياته، ببروز النخب المثقفة وذوي الاختصاصات والمهندسين والخبراء، اذ بدأ هؤلاء يتزايدون على حساب الفئات الازهرية القديمة التي اختصت بالمسائل الدينية، لهذا بدأ العلماء يقرأون لتلاميذهم غير كتب الازهر، ويذكر رفاعة الطهطاوي **((ان بلادنا لابد ان تتغير احوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها))**[١٩].

احتكَّ طالب العلم بلغات جديدة، بعدما اقدم الباشا على استقدام المدرسين الاجانب الذين لا يجيدون اللغة العربية، لهذا تطورت حركة الترجمة[٢٠]، وبرز العديد من المترجمين الاجانب والعرب، وامتاز المغاربة والسوريين بهذا الجانب بعد هجرتهم الى مصر، امثال يوسف مسابكي، وانطون مشحرة، وميخائيل كحيل، والقس رفاييل، ونقولا الترك، وغيرهم، وكذلك المترجمين الاجانب المستشرقين من رجال الحملة الفرنسية، امثال فانتور Fantor، وجوبير Jober، وبراسر فيش Braser Fesh، ولوماكا Lomacka، وحنا روكه Henna Rokah، وكليمان Kleman، وبوديف Bodef، اذ كان لهم الفضل الكبير في ترجمة العديد من الكتب، مما مكن المصريين من الاطلاع على العلوم الاوربية بمختلف اشكالها[٢١].

عدت تلك التجربة التي انتهجها الباشا عميقة بأفكارها، لما حققته من نجاحات في الميادين الثقافية والفكرية في بناء مجتمع جديد تطلع الى فهم حضارات وثقافات الشعوب المتحضرة الاخرى[٢٢].

لقد كان لحركة الترجمة الاثر الكبير في اطلاع طلاب العلم على العلوم والمعارف، من خلال دراسة تلك الجوانب في المدارس التي انشأها الباشا، الى جانب اقدام الجاليات الاجنبية في مصر على انشاء العديد من المدارس لخدمة رعاياها، ويشير مؤرخو المدارس الاجنبية ان الجالية اليونانية كلما حلت في بلد أنشئت فيه كنيسة ومدرسة، كما فعلوه في مدن مصر كالإسكندرية، والمنصورة، وطنطا، وبور سعيد، والسويس، والقاهرة وغيرها[٢٣].

نهض المصريون بإعباء تلك النهضة ومنهم رفاعة الطهطاوي، الذي كان له دوراً مثالياً في عملية الترجمة، بعد ما اقنع الباشا بأنشاء مدرسة للمترجمين، عرفت بمدرسة الالسن، اذ فتحت تلك المدرسة في القاهرة عام ١٨٣٥، وتولى الطهطاوي نظارتها، وضمت في بادئ الأَمر فصولاً لتدريس اللغة الفرنسية، والانكليزية، والايطالية، والتركية، والفارسية، الى جانب دراسة الهندسة والجبر والتاريخ والجغرافية والشريعة الاسلامية[٢٤].

وقد قال عنها المؤرخ (علي باشا مبارك) في كتابه الخطط: **((عرض رفاعة بك على محمد علي تأسيس مدرسة لتعليم اللغات الاوربية ينتفع بها الوطن، ويستغنى بمن يتخرج فيها عن الدخيل، فأجابه الى ذلك، ووجه به الى مكاتب القطر لينتخب التلاميذ لهذا الغرض، فأسس**

المدرسة، وعند الامتحان امتحن التلاميذ في اللغة الفرنسية وغيرها من العلوم المدرسية فظهرت نجابتهم، ثم انشأ بها قلماً للترجمة ترجم فيه كثير من الكتب الاوربية في كل فرع من العلوم، وكان بهذه المدرسة ايضاً قسم تجهيزي خاص، فنبغ فيها رجال بارعون في انشاء اللغة العربية والعلوم...))[٢٥].

ونرى في ذلك ان ما اقدم به الطهطاوي كان على قدر كبير من الاهمية في محاولة منه لتفسير النظم الاوربية والفكر الغربي والانفتاح على الحضارة الغربية الحديثة، من خلال ما اقدم عليه من ترجمة المؤلفات الغربية وتدريسها في المدارس المصرية، لينقل بذلك المجتمع الى وضع اكثر تطوراً، مع الحفاظ على الهوية المصرية بعاداتها وتقاليدها الموروثة.

أما أعمال الايطاليين، فأنهم وضعوا بصمتهم في تحديث هذا البلد، من خلال ابحاثهم العلمية التي درسوا فيها مختلف العلوم الجغرافية والتاريخية لمصر، ومن هؤلاء دروفيتي Drovetti، وال بيلزوني AL Belzoni، وال ريتشي AL Ricci، وال بروكي Brocchi، وال كافيليا AL Caviglia، وال سيجاتو AL Segato، وغيرهم[٢٦].

إذ اكتسب جانب التعليم تقدماً ملحوظاً على يد هؤلاء، نتيجة لتخطيطهم المسبق ودراساتهم التي تخص جوانبه، الى جانب اهتمام الباشا بأخذ النصيحة من هؤلاء في تطوير التعليم العالي، كذلك اهتمامه بدراسة قواعد اللغة العربية، والرياضيات، والتاريخ، اذ انشأ (مدرسة التعليم الادبي) لمن رغب في الالتحاق بوظيفة حكومية، ودُرِست في هذه المدرسة اللغة العربية والفرنسية، كذلك الجغرافية، والتاريخ، والعلوم السياسية، الى جانب انشاءه مدرسة موسيقى الجيش، رغبة منه تقليد اساليب تدريب الجيوش الاوربية، اذ عد اغلب من اشرف على تلك المدارس من الفرنسيين[٢٧].

كذلك أنشأ الباشا مدرسة الفنون والصنائع عام ١٨٣٩، وقدر كلوت بك ان عدد التلاميذ بمدارس القطر المصري في عهد محمد علي باشا بلغ (٩٠٠٠) الاف طالب[٢٨]، ونتيجة لاتساع نطاق التعليم انشأ الباشا ادارة خاصة سميت (ديوان المدارس)، وقد اشار المؤرخ البريطاني بيتون Biton في كتابه عن مصر **((ان ديوان المعارف في عصر محمد علي كان على يد (ادهم بك) الذي قام بإدارة شؤونه خير مقام، حتى كان احسن دواوين الحكومة نظاماً))**[٢٩]، وكان موجوداً من قبل باسم (مجلس شورى المدارس)، اذ كان التعليم مجانياً بمختلف مراحله، اضافة الى ان الحكومة كانت تنفق على التلاميذ مسكن وغذاء وملبس[٣٠].

كانت هنالك مدارس اجنبية اخرى، اوجدتها الجاليات الاوربية، كاليونانية والارمنية والبريطانية؛ رغبةً منها في نشر المذاهب البروتستانتية والكاثوليكية، الى جانب محافظها على كيان جالياتها، خوفاً من ان تذوب في المحيط المصري(٣١).

كذلك اختصت مدارس اجنبية اخرى بتعليم طلابها الفنون والموسيقى، مثل آلة البيانو وغيرها، الى جانب تعليم اللغات الفرنسية والانكليزية، ومن الملاحظ هنا، ان بعض هذه المدارس لا يتم دراسة اللغة العربية فيها اطلاقاً، يبدو ان الجانب الديني قد اخذ نصيبه من هذا الامر خوفاً من التأثيرات الاسلامية التي تصاحب معرفة اللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم(٣٢).

اظهرت تلك الاهتمامات نتائجها باكتساب المصريين العلوم والمهارات، وذكر في هذا الصدد المارشال مارمون Marmon : **((ان العربي له حظ عظيم من المقدرة على التعلم تبلغ درجة النبوغ وهو متصف بالاستقامة والنشاط والغيرة مع المرونة والطاعة، وبهذه الصفات يمكن الوصول الى تحقيق كل ما يريده الانسان، وبفضل هذه المزايا صار العمال الذين خرجوا من صفوف الفلاحين اخصائيون في الفروع والفنون التي توفروا عليها، كلٌ فيها خصص له... حيث تخصص كثير منهم في صنع الات البحر... لقد شاهدت بنفسي الاتقان والعمال الفنيين الذين لم يمض عليهم سنتان في التمرن على تلك الاعمال، ومن الحق ان يقال انه لا ينتظر الوصول الى هذه النتيجة بمثل هذه السرعة من عمال اوربيين يؤخذون من صنوف الفلاحين مهما كانت الامة التي يختارون منها))**(٣٣).

ومن اثار الباشا العلمية في هذا الجانب، انه شجع العلماء الغربيين ولاسيما الفرنسيين منهم، في دراسة الاثار المصرية، امثال العالم لبسيسوس Lebseasous، الذي وضع قاموساً للغة المصرية القديمة، كذلك العالم امبير Amper، الذي يعود اليه الفضل في حل العديد من المشكلات التي تخص هذا الجانب، اذ مهدوا هؤلاء الطريق لمن جاء بعدهم في دراسة تلك الجوانب(٣٤).

لهذا اكتمل النظام التعليمي بشكل لا بأس به عام ١٨٣٦، ووصل الى القمة بعدما اكتملت كل عناصر ازدهاره عام ١٨٤٠، عندما اصبح في مصر خمسون مدرسة ابتدائية، الى جانب المدارس التي ذكرت، وثانويتان الاولى في القاهرة والثانية في الاسكندرية(٣٥).

وفيما يخص باقي البعثات العلمية التي ارسلها الباشا، كانت البعثة الخامسة التي انطلقت عام ١٨٤٤ الى فرنسا، اذ عدت هذه من اكبر البعثات التي ارسلها الباشا، ثم توالت البعثات في عهده حتى عام ١٨٤٧، ليكمل بذلك جانب عد في نظر الباحثين من اهم الجوانب الاجتماعية التي نهضت بدوراً مميزاً في تحديث ورقي المجتمع المصري(٣٦).

كانت نتائج هذه المجهودات التي قام بها الباشا في مجال التعليم والثقافة، ظهور العديد من البارعين في مختلف النواحي الفكرية، والذين أَسهموا في احداث النهضة التي شهدتها مصر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، اذ أَسهموا مساهمة فعالة في تغيير وجه المجتمع المصري في كل الاصعدة والنواحي الحضارية[٣٧].

مرتكزات الجانب التعليمي في عهد محمد علي باشا

- أنَّ الهدف الاساس للتعليم في هذا العهد هواعداد التلاميذ للعمل في الجيش.
- ان العسكرة كانت السمة الواضحة داخل المؤسسات التعليمية، اذ ان جميع الاساتذة والتلاميذ كانوا يمنحون رتباً عسكرية، كذلك يعيش الطلبة في ثكنات عسكرية ويخضعون للعقوبات، كالحرمان من الدروس والحبس مع الاختصار على تناول الخبز والماء، والطرد من المدرسة وغيرها من الاجراءات العسكرية.
- أن الالتحاق بالمدرسة كان اشبه بالتجنيد الالزامي، فإذا لم يقوم الاهالي بأرسال ابناءهم الى المدارس قبض عليهم الجنود والحقوهم قسراً.
- الاهتمام بالتعليم الاجنبي واهمال التعليم الازهري[٣٨].
- ان التعليم في الازهر قد اصابه الضعف والتدهور، واختفت في حلقاته كثير من العلوم التي كانت زاهرة به من قبل، فاضطربت احواله وقلت موارده تباعاً، وانخفض عدد اساتذته وطلابه، بحيث انكمشت فيه حركة التعليم كلها، وانعدم الانتاج الفكري والادبي[٣٩].
- ان التعليم الاجنبي بدأ على يد المبشرين الاوربيين (الفرنسيين،والبريطانيين، والامريكيين)[٤٠].

وبهذا فقد اصبح التعليم واحد من اهم الجوانب الاجتماعية واكثرها تأثراً بالجاليات الاجنبية في تلك المدة، الى جانب نشاط تلك الجاليات في جوانب اجتماعية اخرى لا تقل اهميةً عما ذكر، ومنها تحديث الجانب الصحي وبناء المستشفيات.

ثانياً: الطب وبناء المستشفيات

تذكر لنا اغلب المصادر ان عملية تحديث هذا الجانب بدأت اثناء الحملة الفرنسية على مصر، نتيجة ورود العديد من الاطباء والصيادلة مع الجيش الفرنسي، هذا فضلاً عن من قَدِم الى مصر من الجاليات الاخرى وامتهنوا مهنة الطب، وتشير اكثر المعلومات على تدني المستوى العلمي الطبي لدى اولئك الذين امتهنوا مهنة الطب والصيدلة، اذ انهم لم يستطيعوا علاج انفسهم وانقاذها من الموت بسبب الامراض التي عصفت بمصر في تلك المدة واصابتهم بها[٤١].

وبخصوص ذلك ذكر المسيوهامون Hamoon، ناظر مدرسة الطب البيطري في عهد محمد علي باشا **((ان اي اجنبي كان ينزل بأرض مصر وليس له مهنة يمتهنها كان يعين صيدلياً او طبيباً))**[٤٢].

يبدو أنَّ محمد علي باشا في بادئ الامر وثق بالجميع وصب اهتماماته في جوانب ولم يراعِ جوانب اخرى، لهذا تنبأ الى خطر تلك المهمة بعد ان استفاد من البعثات التي ارسلها الى الدول الاجنبية والتي تم ذكرها سابقاً.

لقد ارتبط تطور الطب اولاً بالناحية العسكرية، عندما اقدم الباشا على انشاء جيشاً مصرياً على طريقة النظم الاوربية الحديثة، فأنشأ عام ١٨١٥ مدرسة (الطب البشري)، واستعان اول الامر بالأجانب للتدريس فيها[٤٣]، كذلك انشأ مدرسة الطب في ابوزعبل عام ١٨٢٧، لخدمة الجيش العسكري اولاً، ثم اصبحت تعمل خارج الجيش، وتم احضار المختصين من الدول الاوربية للتدريس فيها، اذ دُرِست فيها العلوم الطبية، والكيميائية، والنبات، والامراض الباطنية، والطب الشرعي، والجراحة والتشريح، وقد تولى ادارتها الفرنسي الشهير كلوت بك، وكان يُدرَسُ فيها باللغة الفرنسية، وبعد عشرة سنوات نقلت هذه المدرسة الى القصر العيني[٤٤]، في القاهرة[٤٥].

وإلى جانب اللغة الفرنسية دُرِست فيها بقية اللغات، ومنها التدريس باللغة العربية بعد ان وجه اليها النقد بسبب طبيعة التدريس باللغات الاجنبية، اذ اقدم كلوت بك بتكليف هيئة المترجمين في المدرسة بترجمة الكتب الطبية الى اللغة العربية، وكان اول كتاب طبي مترجم هو(القول الصريح في علم التشريح) من تأليف بايل Bayle، وقد عد هذا الكتاب بمثابة انفتاح المصريين نحوتعلم المصطلحات الطبية التي فصلت فيه، واصبح للطب المصري خلال خمسة سنوات قاموس زادت كلماته على ستة الاف كلمة[٤٦].

والحقت تلك المدرسة بأخرى للصيدلة، لدراسة الامراض وطرق علاجها باستخدام العقاقير الطبية الحديثة، ثم اخرى للقابلات والولادة، اذ تم تعليم الطالبات المصريات على تلك العلوم والفنون الطبية باستخدام الوسائل الحديثة التي ادخلت في هذا الجانب[٤٧].

أما بخصوص تطور علم التشريح في مصر، فقد كان امراً منكراً في نظر الاهالي، الا ان كلوت بك[٤٨] ، حصل على اذن التشريح سراً لكي يعلمه للمصريين، ولم يثنِ ذلك من محاولة احد الاهالي قتله بخنجر ولكنه لم ينجح[٤٩].

وفي عام ١٨٣٢ سافر كلوت بك ومعه اثنا عشر من تلاميذ مدرسته الى باريس لامتحانهم، فامتحنتهم الجمعية العلمية الطبية وخرجوا بأرقى الشهادات واسماها، ونذكر منهم

احمد الرشيدي، وحسن الرشيدي، ومحمد منصور، وابراهيم النبراوي، وعيسوي النحراوي، ومصطفى السبكي، ومحمد الشباسي، ومحمد السكري، ومحمد الشافعي، واحمد بخيت، ومحمد علي البقلي، اذ اصبح لهم الشأن العظيم في ادارة وتطوير الناحية الطبية في مصر[٥٠].

ثم الحقوا اولئك المختصين بعدد اخر ولنفس الغرض، حتى صار ما ارسله محمد علي باشا الى اوربا للأغراض الطبية اكثر من (١٢٠) طالباً حتى عام ١٨٤٢، اكثرهم الى فرنسا، وقليل منهم الى بريطانيا والمانيا[٥١].

والى جانب اهتمام محمد علي باشا بتحديث الطب البشري، عني كذلك بتطوير الطب البيطري، اذ انشأ (مدرسة الطب البيطري) تحت ادارة الفرنسي هامون Hamon، الذي وضع بصمته في ازدهار هذا الجانب[٥٢].

وبهذا نرى ان محمد علي باشا قد احاط بجميع الوسائل التي تخدم الجانب الطبي عن طريق الاستعانة بالخبرات الاجنبية التي ادت دورها بصورة مقنعة بعض الشيء خاصة مع بداية حكم محمد علي باشا، ليتطور هذا الدور، نتيجةً لوقوف الباشا على اعمالهم واختيار من هو الاجدر في تحديث ذلك الامر، ليكمل جانب لا يقل اهمية عن باقي الجوانب الاجتماعية الاخرى.

ثالثاً: التركيبة الاجتماعية

من الصعوبة على معظم الباحثين اعطاء صورة دقيقة لتعداد العناصر السكانية في مصر خلال القرن التاسع عشر، على خلاف المدة الاخيرة من هذا القرن، اذ امكن الحصول على تقديرات يمكن الاعتماد عليها، الا ان الصفة السائدة التي كانت عليها مصر مطلع القرن المذكور، هي التزايد الملحوظ في عدد السكان، اذ قدر تعداد مصر ايام الحملة الفرنسية حوالي (٢,٥) مليون نسمة[٥٣].

وتزايد هذا العدد بشكل كبير ليصل الى الضعف في نهاية حكم محمد علي باشا، نتيجة للرعاية الصحية وتحسن الظروف المعيشية[٥٤]، فضلاً عن الهجرات الاجنبية التي توالت على مصر خلال تلك المدة، من بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، واليونان، واسبانيا، وروسيا، فضلاً عن اليهود والارمن، وقد اختلف تعداد تلك الجاليات من بلد لأخر؛ نتيجة لطبيعة العمل وعوامل اخرى تتعلق بميول محمد علي باشا الى بعض الاجانب ومنهم الفرنسيين، اذ كان للانسجام النفسي بين الفكر الشرقي والفكر الفرنسي من حيث البيئة الجغرافية، المتمثلة بحضارة البحر الابيض المتوسط، العامل الاساس في هذا التقارب الاجتماعي[٥٥].

لقد ادت تلك الهجرات الى اضفاء صفة التنوع في تركيبة المجتمع المصري، وقد اختلفت دوافعها من بلد الى اخر، فكان دافع الحج من الاسباب البارزة لاستقرار بعض الجاليات عن طريق مرور قوافل الحجيج بمصر بوصفها محط لقوافل الحج، اذ برزت العديد من المدن المصرية التي امتازت بطابع التنوع في التركيبة السكانية، ومنها مدينة القاهرة(٥٦)، ومن الاسباب الاخرى لتلك الهجرات هي طلب العلم، من خلال الوفود الى جامع الازهر، ويذكر في ذلك ان لهذا الصرح الحضاري امكانياته ودوره المميز في عملية استقرار من وفد الى مصر؛ نظراً لتوفيره وسائل الراحة والتنظيم والاقامة، بحسب اصول من وفد اليه، مثل رواق الحرمين، ورواق المغاربة، ورواق اليمنية، ورواق البغدادية، ورواق الاكراد، ورواق البرابرة وغيرهم، كذلك نهضت التجارة بدورٍ بارزٍ لعملية الهجرة الاوربية الى هذا البلد(٥٧).

أن تنظيم المدن المصرية في تلك المدة كان قد اخذ من النظام الاداري الفرنسي، الذي اكد على طابع المدنية الحديثة، في محاولة لربط المجتمع المصري بعجلة التقدم الحضاري والثقافي التي شهدته المجتمعات الاوربية(٥٨).

رافق هذا التغيير المفاجئ والتطورات التي طرأت على جميع الميادين في مصر على مختلف الشرائح الاجتماعية سلباً كان ام ايجاباً من خلال نوعية العمل والنظام الاقتصادي الجديد الذي اوجده محمد علي باشا، اذ اثر على بعض الطبقات الاجتماعية، ولاسيما المزارعين والحرفيين الذين بدأوا يعيشون ظروفاً صعبةً في ظل ذلك التغيير(٥٩) الذي شهدته مصر في مختلف جوانب الحياة، لاسيما في مسألة التجنيد الالزامي الذي فرضه محمد علي باشا، على شرائح متعددة من المجتمع المصري، ومنهم الفلاحون، بالمقابل تم اعفاء الاقباط المسيحيين منه(٦٠)، اذ خلق هذا الامر نوعاً من الحزازية بين الجانبين، بحيث اقدم بعضاً من الفلاحين على احداث العاهات الجسمية بأبنائهم، حتى لا يسيروا الى الجيش، ومنها اتلاف احدى عينين ابناءهم باستخدام سم الفئران، كذلك اقدام بعض الشباب المصريين على وشم الصليب على معصم ايديهم، والبعض الاخر كانوا يخلعون اسنانهم؛ لانهم كانوا يعرفون ان الجندي يحتاج ان تكون له اسنان سليمة لنزع فتيل القنابل، وغيرها من الاعمال التي تم عن تهرب المجتمع من الخدمة العسكرية(٦١).

وعلى الرغم من تلك الافعال، فقد امر محمد علي باشا ضباطه باعتقال اعداد من الفلاحين قسراً وعزلهم عن بيئتهم المعتادة، ومنعهم من الاشتراك في اية انشطة زراعية، سواء كان عملهم لوحدهم اوبالتعاون مع الاخرين، اذ كان الغرض من ذلك، فضلاً عن بناء جيش محترف،

هو تقليل حدة النزاع بين اولئك الفلاحين والسكان المدنيين داخل المدن المصرية، بعد ان ازدادت هجرتهم نحوها(٦٢).

يبدوا أنَّ الباشا اراد بذلك الامر خلق بيئة اجتماعية متماسكة يسودها الهدوء والاستقرار، في ظل وجود العديد من الطوائف الاجتماعية باختلاف نظمها وعاداتها وتقاليها، لخلق دولة حديثة يعيش فيها الجميع بسلام.

لقد عمل محمد علي باشا على تحقيق المساواة بين سكان الدولة المصرية في الحقوق والواجبات امام القانون، بغض النظر عن كون المواطن مسيحي اومسلم، بل عد الكل رعية، اذ كان لهذا الامر اثر كبير في شعور المواطن العربي على حد التعبير، بوطنيته تجاه تلك الدولة التي بناها الباشا(٦٣).

فإننا نجد في ذلك الالتزام الاجتماعي وحقوق الانسان، وفق التقسيم التقليدي المعروف للسكان، الذي كان سائداً في القرن الثامن عشر مع الزيادة الملحوظة للجاليات الاجنبية التي رافقت تولي محمد علي باشا حكم مصر(٦٤).

وأشارت أغلب المصادر ما صوره الرحالة الاجانب في كتاباتهم حول المجتمع المصري قبل الحملة الفرنسية، اذ رسموا صورة سيئة لهذا المجتمع، كان الغاية منها تبرير استعمارهم، والاشادة بدورهم في تحديث تلك المجتمعات ودور الرجل الابيض فيها، الا ان دراسة احوال المجتمع التي رافقت اصلاحات الباشا قد ادت دورها في معالجة الاخطاء وتحقيق المساواة بين ركائز هذا المجتمع حتى ومن وفد اليه من الجاليات الاجنبية(٦٥).

على الرغم من وجود بعض الاخطاء التي لا تخلو اطلاقاً في اي مجتمع تعرض الى المخالطة مع اختلاف طبيعة العادات والتقاليد، اذ نتج عنه انفتاح الشعب المصري نحو مجتمعات متحررة، لم يستطع هذا المجتمع ان يحافظ على جميع أفراده دون أن يتأثروا بهم(٦٦).

اختلفت الاوضاع الاجتماعية في مصر، خاصة بعد فرار المماليك من القاهرة، اذ نتج عن هذا الفرار تركهم جارياتهم اللاتي كن على عهدتهم دون عائل، الامر الذي ادى بدوره الى زواج تلك الجاريات من العساكر الفرنسيين، وبعد خروج هؤلاء من مصر وتركهم لمعظم زوجاتهم دون عائل ايضاً، اقدم البعض منهن على الزواج من العساكر العثمانيين(٦٧).

ويبدوا أنَّ أمر تلك النساء كان طبيعياً تجاه من وفد الى مصر على وجه الخصوص دون التعميم، خاصةً وان المجتمع المصري مجتمعاً اسلامياً يرفض زواج المسلمات من النصارى.

فكانت الغاية وكما ذكر الجبرتي من ذلك: **((ان بعض هذه النسوة استطعن الزواج من العسكر العثماني، وقال ان العسكر امهروهن المهور الغالية وانزلوهن المناصب العالية))**(٦٨).

ومن الامور الطريفة التي فعلها محمد علي باشا مع الجاليات الاجنبية داخل المجتمع المصري، التي اكدت بطبيعة الحال على المرونة والتعامل الحسن الذي كان سائداً في تلك المدة، كذلك العلاقات الاجتماعية التي قضت بدورها على الفوارق الفردية بين من ولي زمام الامور ومن هوفي مستوى الرعية، يذكر المستشرق الفرنسي بريس دافين Bress Davin : **((كان يروق للباشا لعب البلياردو والشطرنج والنرد، وهو لا يهتم اذا لعب باصطفاء خصمه، بل يختاره من بين صغار ضباطه بل ومن جنوده احياناً، ولكن عادته جرت على ان يتخذ خصمه في مباريات البلياردو من بين القناصل والرحالة الاوربيين، وما هكذا يتخيل الناس في أوربا صورة... مجدد مصر))**[٦٩].

لقد اعطت تلك السياسة ثمارها في تطور المجتمع المصري ومشاركته الفعالة في مختلف الانشطة، ومنها التجارة التي عدت اساساً في تطور هذا المجتمع، اذ خصص محمد علي باشا مورداً بشرياً كان في معزل في ظل الحكومات السابقة، كان الفضل يعود اليه في تحسين ظروفهم المعيشية، وبالتالي تطور مجتمعهم تدريجياً[٧٠]، وقد نتج عن ذلك التطور صدر اول جواز سفر مصري عام ١٨٣٠ لدخول وخروج المواطنين من مصر، بعد قرار الحكومة المصرية تحديث هذا الجانب وفق النظام الاوربي الحديث على ان يكون بيد كل انسان تذكرة مختومة بختم مصر تقدم عند دخولهُ وخروجه ابواب مصر، أو عند انتقاله من بلد الى اخر، ومنذ ذلك التاريخ اصبح للمواطن المصري جواز سفر يحمله اينما ذهب، وارتبط لونه بلون علم الدولة الاحمر المعمول به في تلك المدة، ويبدوا ان للأجانب نصيب في الحصول عليه خاصة بعد استقرار العديد منهم في هذا البلد[٧١]. ينظر الملحق (٢).

أنَّ تلك التطورات قد اثرت في مختلف الشرائح الاجتماعية، سلباً او ايجاباً، نسبة الى الموقع الاجتماعي وطبيعة العمل، وقد سبق المجتمع المصري غيره من المجتمعات العربية جراء تلك التطورات التي اعطت ثمارها في تكوين مجتمع متحدث على غرار المجتمعات الاوربية الحديثة[٧٢]، لقد تميزت تلك المدة بسرعة التغيرات التي شملت جميع مرافق الحياة، اذ كان تحديث الناحية الاقتصادية بكل جوانبها الاثر البالغ في صياغة انماط جديدة، عدت اساساً في البناء الاجتماعي لمصر الحديثة[٧٣].

نتج عن ظهور مجتمع متكامل يتخلله الكثير من العناصر السكانية باختلاف جنسياتها، عرباً كانوا ام اجانب، عملوا جميعاً في اقامة دولة محمد علي باشا، تزايدوا بعد ان استقروا بفضل البيئة المناسبة التي اوجدها الباشا، اذ ان الفارق كبير بين اعدادهم خلال الحملة الفرنسية ونهاية حكم محمد علي باشا، وهذا ان دل فإنما يدل على العديد من الجوانب الايجابية التي اوجدها

الباشا، اذ قدرت اعدادهم خلال الاعوام (١٨٣٣-١٨٣٥) ما بين (٤٨٦٤-٥٠٠٠)، منهم (٢٠٠٠) يوناني، و(٢٠٠٠) ايطالي، و (٨٠٠) فرنسي، و(٣٠٠) روسي، و(١٠٠) بريطاني، و(١٠٠) نمساوي، و(٢٠) اسباني، وبعض من الجاليات العربية والاجنبية الاخرى[٧٤].

رابعاً: الملابس والعادات والتقاليد الاجنبية في مصر

وضع المؤرخ ادريس افندي صورة واضحة عن المجتمع المصري في القاهرة وباقي المدن المصرية، حتى شبه ذلك المجتمع بعالم مصغر تتباين فيه الاجناس من كل بقاع الارض، فيرى فيها الابيض ذا الشعر الاشقر والعينين الزرقاويتين، والزنجي الغليظ الشفتين، والعربي، والتركي، والهندي، والحبشي، اذ يتكلمون لغات مختلفة ويرتدون ملابس مختلفة ايضاً، ويصف ادريس افندي ذلك بقوله: **((ها هو القبطي المتواضع، تحت عمامة سوداء كثيرة الثنيات... والالباني... يرتدي ازارهُ الابيض، واردانه الطويلة وقد شمرها الى كتفيه، وسترته التي يكسوها تطريز منطفئ اللون، ومعطفه ذا القلنسوة الموشحة بجميع الالوان... والنساء بملابس فضفاضة محجبات الوجوه... والعربي مندثراً بمعطفه الابيض الفضفاض... وغيرهم من الاجناس المختلفة الذين يتزاحمون في اسواق القاهرة))**[٧٥].

لقد تميزت النساء المصريات بارتداء اللباس الاسلامي، على الرغم من وجود بعض العائلات التي اخذت تتأثر بالزي الاوربي ذو الطابع التحرري، حتى ان الزينة التي كانت ترتديها بعض النساء قد اخذت بطابع التقليد الغربي، اذ لبسن (عود الصليب) الذي كان يربط بسلسلة ذهبية ويعلق على الرقبة، وان من المدهش هنا ان تلجأ النساء المسلمات الى لبس مثل هكذا زينة، اذ لابد من انهن اخذن تلك العادة من النصرانيات الاوربيات اللاتي وفدن مصر خلال تلك المدة[٧٦]، كذلك ارتدى العساكر المصريين السراويل الاوربية والاحذية السوداء والمعاطف الطويلة والطربوش، رغبة من محمد علي باشا لكي يكونوا على الطراز الاوربي الحديث[٧٧].

أما الخواتم المصرية، فهي لا تختلف كثيراً عن الغربية من خلال شكلها والنقوش التي نقشت فيها[٧٨]، اذ اخذت تلك الزينة تظهر في المجتمع المصري بعد الانفتاح نحو المجتمعات الغربية، لذلك فأن من الطبيعي ان تظهر لنا بوضوح تلك المظاهر، الى جانب الالتزام في الحشمة الاسلامية ضمن العادات والتقاليد الموروثة التي اصبحت السمة البارزة لهذا المجتمع في ضل المؤثرات الخارجية[٧٩].

لذلك نجد ان بعض الجاليات الاجنبية احتفظت بموروثها وعاداتها وتقاليدها، ولم تتأثر كثيراً بالحضارة المصرية، كالجالية البريطانية على سبيل المثال، اذ ارتدوا البناطير القصيرة،

ولبسوا القبعات على رؤوسهم، ولم يفضلوا الاختلاط الا مع ابناء جنسهم، اما المرأة البريطانية فقد حظيت بتأثير اجتماعي مميز خاصة عند النساء المصريات، عندما اقدمتا ليدي جوردون Lady Gordon وايميليا Emilia بالاهتمام في شؤون المرأة المصرية وابراز دورها المؤثر في المجتمع ومواكبتها لحركة التطور العالمية(٨٠).

وعلى الرغم من حرص المجتمع المصري على عاداته وتقاليده، الا ان بعض المصريين الذين ارسلهم محمد علي باشا الى الدول الاجنبية، تأثروا بالمظاهر الاوربية ونقلوا من الافكار الغربية، اذ ارتدوا الملابس ذات الطابع الغربي، الا ان الباشا اصدر امراً منع فيه المصريين من تقليد الاوربيين، وظلوا متمسكين بزيهم حتى نهاية حكم محمد علي باشا، عندما ادخلت التغيرات التي كان المجتمع المصري قد انفتح عليها في ظل التطورات التي شهدتها مصر خلال تلك المدة(٨١).

الخاتمة والاستنتاجات

توصل البحث إلى جملة عدد من الاستنتاجات الآتية:

- أنَّ السياسة الاصلاحية التي انتهجها الباشا اثرت بشكل مباشر على المجتمع والاقتصاد المصري؛ نظراً لاستنزافها الاموال الكثيرة والطاقات البشرية الكبيرة، التي اخذت نتائجها تؤثر سلبياً على واقع الحياة الاجتماعي، من خلال ارهاق السكان بالضرائب الباهظة، كذلك استنزاف الجزء الاكبر من موارد البلاد.
- تأثر محمد علي باشا بأنظمة التعليم الاوربية، من خلال الاعتماد على الخبرات الاجنبية بشكل كبير، وهذا ما يفسر ان الباشا قد تأثر بالفكر الغربي الأوربي أكثر من تأثيره بالنظم العربية الحديثة.
- أنَّ التعليم الاجنبي الذي ادخل الى مصر، قد كشفت اوراقه في الآونة الاخيرة من حكم محمد علي باشا، عندما تبين بانه أحد الوسائل المهمة للمستعمرين، من منصّرين ومستشرقين، فلم يكن الهدف ينصب في خدمة الاجيال اللاحقة، وانما لنشر الثقافة الاوربية وتشويه الشخصية الاسلامية.
- أنَّ الهدف الاساس التي كانت تصبوا اليه المدارس الفرنسية في مصر، هو الدعاية للمذهب الكاثوليكي.
- جلب الاجانب معهم الى مصر عالمهم الخاص، لذلك تم الاحتكاك بهم، وتقليدهم في مجالات اخرى غير التكنلوجيا، لقد احضروا كتبهم، ووسائل اتصالاتهم مع أوربا، فشعروا بالفوقية تجاه المجتمع المصري، الذي اثارهُ هذا الامر، املاً التفوق عليهم يوماً ما.
- أدرك محمد علي باشا منذ بداية توليه حكم مصر، ان قوة الامة ونهضتها مقترناً في التعليم، لذلك اتم هيكليته وفق ثلاثة اقسام، الاول يتمثل في التعليم العالي، والثاني يتمثل بالتعليم الثانوي، اما القسم الاخير فيتمثل بالتعليم الابتدائي.
- أنَّ أغلب الاصلاحات التعليمية التي انتهجها محمد علي باشا، كانت تنصب في خدمة واصلاح المؤسسة العسكرية.
- لم يكن تأثير الجاليات الاجنبية في الجوانب الاجتماعية موازناً لتأثيراتها في النواحي الاخرى، ومنها الجانب الاقتصادي؛ لكون ان الهدف الاساس لتلك الجاليات هو الاستغلال الاقتصادي لمصر في ظل الثورة الصناعية التي شهدتها المجتمعات الاوربية خلال تلك المدة.
- أن تطور وتحديث الطب المصري في تلك المدة، كان مقترناً بالجانب العسكري، ويرجع هذا الامر لسببين، الاول ان معظم الاجانب الذين وفدوا الى مصر خاصة من الفرنسيين

والبريطانيين قد استخدموا جيوشهم في استعمار هذا البلد، وهذا يتطلب تقديم جملة من المساعدات الطبية لتلك الجيوش، اما السبب الثاني فكان ينصب في ان اغلب اصلاحات محمد علي باشا اكدت على تطوير الناحية العسكرية، لذلك عني بأنشاء المدارس الطبية.

- أن عملية الاستعانة بالخبرات الاجنبية قد ارهقت ميزانية الدولة، نتيجةً للأموال الضخمة والحوافز الكبيرة التي كان يقدمها محمد علي باشا لتلك الخبرات، من جانب اخر فقد عالج الباشا هذا الامر بفرض الضرائب القاهرة على معظم شرائح المجتمع ومنهم الفلاحين، لذلك خلق نوعاً من الاضطراب والحاجة داخل المجتمع المصري.
- وفي نهاية الأمر نرى ان دور الجاليات الاجنبية الاجتماعي في مصر خلال تلك المدة، قد بدأ تأثيره يتصاعد تدريجياً منذ تولي محمد علي باشا حكم مصر عام ١٨٠٥ حتى نهاية حكمه عام ١٨٤٨، نتيجةً لتصاعد اعداد تلك الجاليات خاصةً سنواته المبكرة التي عمل فيها على بناء وتحديث اركان دولته، لذلك كان طلبه لتلك الجاليات يزداد بفعل حاجة الجوانب الاجتماعية لتلك الخبرات، ثم تناقصت تلك الاعداد ليحل محلهم المصريين الذين تطورت لديهم الامكانيات بفعل البعثات العلمية والمدارس التي فتحت في مصر وفي البلدان الاوربية.

الملاحق

الملحق رقم (١) [٨٢]

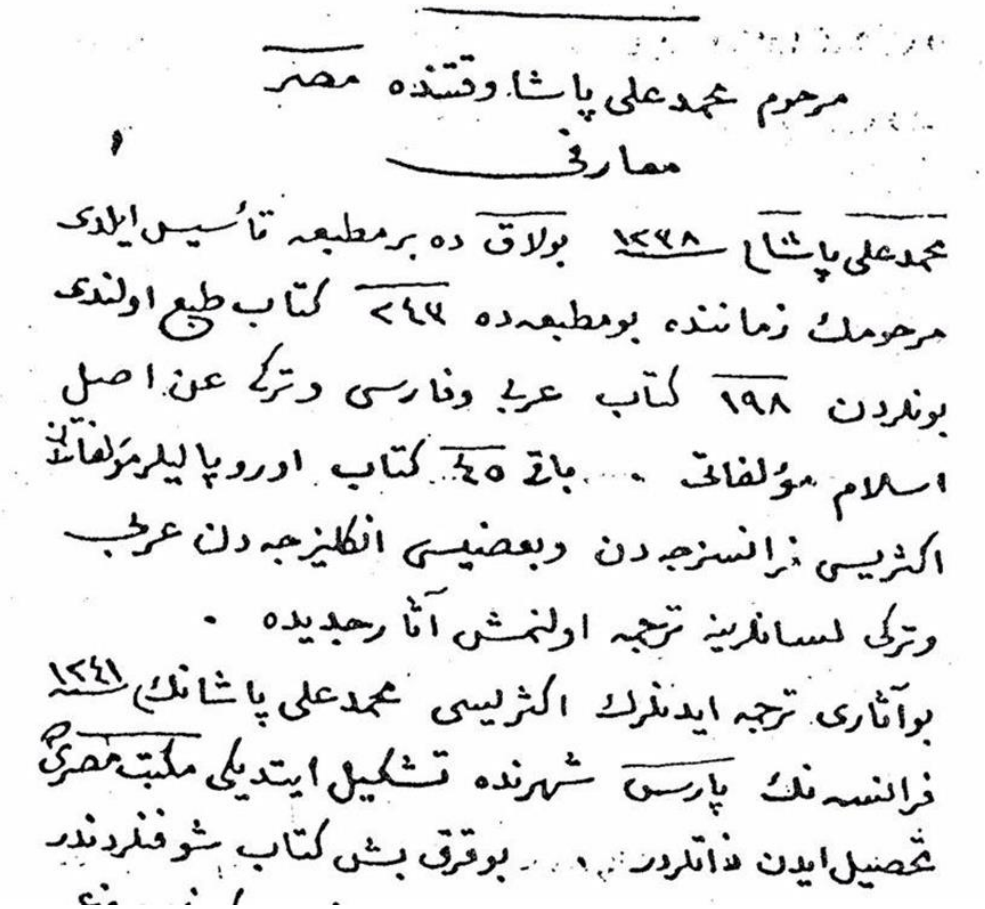
مرحوم محمد علی پاشا وقتنده مصر
معارفی
محمد علی پاشا ۱۲۴۸ بولاق ده برمطبعه تأسیس ایلدی
مرحومك زمانده بومطبعه ده ۲۴۳ کتاب طبع اولندی
بونلردن ۱۹۸ کتاب عربی وفارسی وترکی عن اصل
اسلام مؤلفاتی ... باقی ۴۵ کتاب اوروپالیلرمؤلفاتنك
اکثریسی فرانسزجه دن وبعضیسی انکلیزجه دن عربی
وترکی لسانلرینه ترجمه اولنمش آثار جدیده ...
بوآثاری ترجمه ایدنلرك اکثریسی محمد علی پاشانك ۱۲۴۱ سنه
فرانسه نك پاریس شهرنده تشکیل ایتدیکی مکتب مصری
تحصیل ایدن ذواتدر ... بوقرق بش کتاب شو فنلرندر

ترجمة الملحق رقم (١)

العلم والمعرفة في مصر في عصر محمد علي باشا:

أسس محمد علي باشا مطبعة في بولاق عام ١٢٣٨هـ وطبعت هذه المطبعة في زمن المرحوم ٢٤٣ كتاب: منها ١٩٨ كتاب باللغة العربية والفارسية والتركية عن العلوم الإسلامية، والباقي ٤٥ كتاب آثار جديدة تم ترجمتها من اللغة الفرنسية والانكليزية الى اللغة العربية، واكثر الذين ترجموا هذه الكتب كانوا من الذين درسوا في المدرسة التي شكلها محمد علي باشا في مدينة باريس الفرنسية.

الملحق رقم (٢)[٨٣]

أول جواز سفر صادر في عهد محمد علي باشا

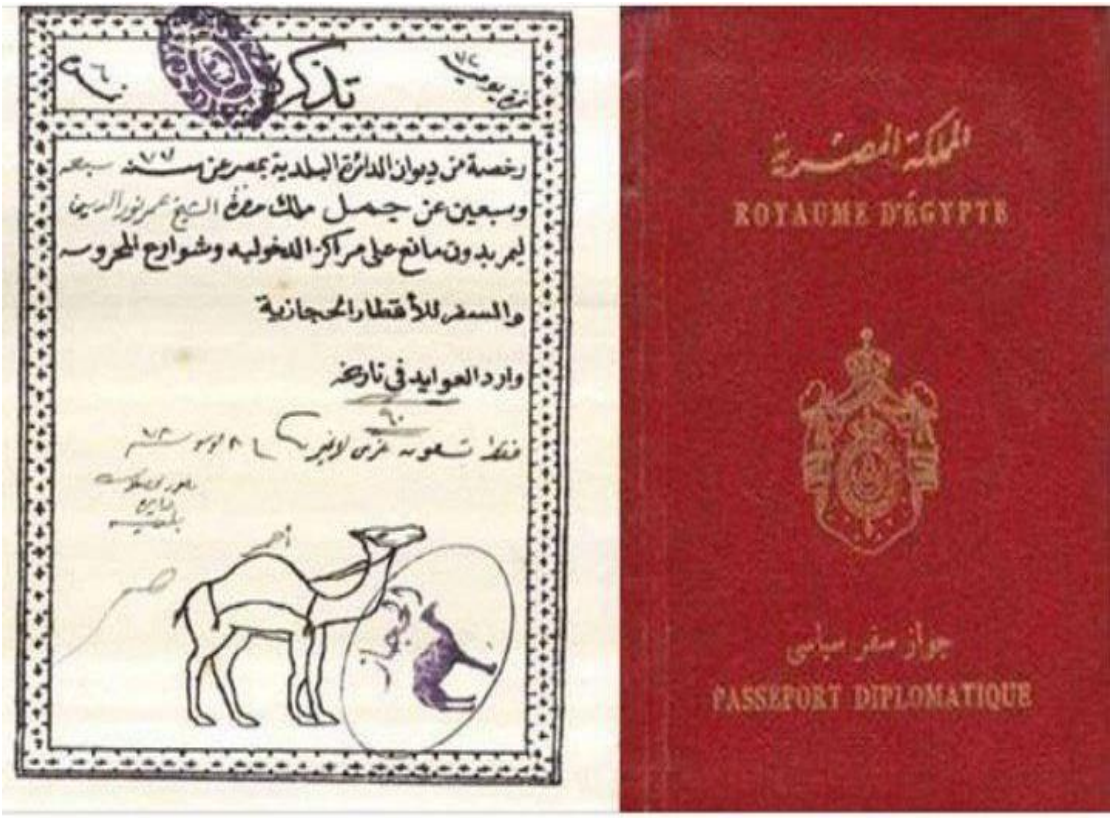

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦، ص ٥٤.

(٢) جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، مصر، د.ت، ص٦١.

(٣) ويذكر ان السبب المباشر لأنشاء هذه المدرسة هوان شخصاً يدعى شلبي عجوة اخترع اله لضرب وتبييض الارز، بعد ان قدم نموذجاً الى الباشا، الذي بدوره اعجب به وشجعه وكافئه، وبعد ذلك قرر الباشا تعميم هذه التجربة في مضارب دمياط ورشيد الى جانب تفكيره في انشاء مدرسة تجمع تلك المواهب. ينظر: منير غبور واحمد عثمان، صفحات من تاريخ مصر (محمد علي باشا عودة الذاكرة المصرية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٢٣.

(٤) جاد طه، المصدر السابق، ص ٦١.

(٥) محمد مورو، كفاح شعب مصر (عصر محمد علي)، (جزئين)، مكتبة ومطبعة الغد، مصر، ٢٠٠٧، ص٩٤.

(٦) صلاح احمد هريدي علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧-١٨٨٢، ج١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٤٣٠.

(٧) نقلاً عن: عبدالحكيم عبدالغني قاسم، تاريخ البعثات المصرية الى اوربا في عصر محمد علي، مكتبة مدبولي، ٢٠١٠، القاهرة، ص ١١٣.

(٨) ويذكر ان الباشا اختار ايطاليا كأول دولة اجنبية يرسل اليها البعثات وذلك لسببين؛ أولهما وجود العديد من الايطاليين في مصر، اذ اكتسب بهذا الامر الاختلاط معهم ومن ثم تعلم لغتهم، والسبب الثاني ان اللغة الرسمية الاوربية في ذلك الوقت في مصر هي اللغة الايطالية، حتى الرسائل التي كانت تبعث من القنصليات الاجنبية كانت ترسل باللغة الايطالية. ينظر: المصدر نفسه، ص ١١١-١١٣.

(٩) منير غبور واحمد عثمان، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(١٠) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الاول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الاسكندرية، ١٩٣٤، ص ١٠.

(١١) وثيقة صادرة من موسوعة العلم والمعرفة في مصر في عصر محمد علي باشا، تم الحصول عليها من: محمد عبد العاطي محمد، مدرس التاريخ والحضارة العثمانية المساعد بكلية الآداب جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية.

(١٢) عمر طوسون، البعثات العلمية في...، ص ١١.

(١٣) ويذكر ان المسيوجومار Goemar هواحد علماء الحملة الفرنسية ورئيس البعثات المصرية الى فرنسا، وقد بلغ عدد اعضاء هذه البعثة ٤٤ مصري ثم اصبح ١١٤ في عام ١٨٣٣، ولما رجعت هذه البعثات اعانت

محمد علي في بناء مشروعاته العظيمة، ينظر: محمد صبري، تاريخ مصر الحديث...، ص ٥٤-٥٥؛ محمد رفعت، المصدر السابق، ص ١١٧.

(١٤) احمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي (مصادره ووثائقه)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (١)، العدد (١٢)، مصر ١٩٤٨، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(١٥) جاد طه، المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.

(١٦) سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية، ١٩٩٧، ص ٣٥٠.

(١٧) ماسيمو كامبانيني، تاريخ مصر الحديث من النهضة في القرن التاسع عشر الى مبارك، ترجمة: عماد البغدادي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٠-٢١.

(١٨) نقلاً عن: جلال يحيى، المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ص١٠٣.

(١٩) نقلاً عن: جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥١، ص ٦.

(٢٠) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢١) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة في مصر...، ص ٣٥.

(٢٢) جلال يحيى، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، د. ت، ص١٠٢.

(٢٣) بكر بن عبدالله ابوزيد، المدارس العالمية الاجنبية – الاستعمارية (تاريخها ومخاطرها)، دار ألفا، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٢٦.

(٢٤) منير غبور واحمد عثمان، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢٥) نقلاً عن: عمر الاسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٥٧.

(٢٦) انجلوساماركو، دولة محمد علي في الوثائق الايطالية غير المنشورة (مصر في عصر الفوضى ١٨٠١-١٨٠٤)، ج١، ترجمة: محمد صابر عرب وحسين محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٥-٢٦.

(٢٧) احمد عبدالعزيز عيسى، في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي في العصر الحديث، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ٢٠١٦، ص ١٧١-١٧٢.

(٢٨) محمد مورو، المصدر السابق، ص ٩١.

(٢٩) نقلاً عن: عمر الاسكندري وسليم حسن، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣٠) محمد مورو، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣١) صلاح احمد هريدي علي، المصدر السابق، ص ٣٤٣.

(٣٢) محمد عمر، حاضر المصريين، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩٠٢، ص ٣٥.

(٣٣) نقلاً عن: محمد مورو، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣٤) عمر الاسكندري وسليم حسن، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٣٥) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٣٦) انيس النصولي، اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، دار ابن زيدون، لبنان، ١٩٨٥، ص ٦٩.

(٣٧) منير غبور واحمد عثمان، المصدر السابق، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣٨) احمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي (مصادره ووثائقه)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (١)، العدد (١٢)، مصر ١٩٤٨، ص ٤٤-٤٥.

(٣٩) كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني (المجتمع والتعليم)، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الانسان، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٤.

(٤٠) احمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤١) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية...، ص ٨.

(٤٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٦-١٨.

(٤٤) ويذكر أن هذا القصر كان من قبل مسكناً لإبراهيم بك الكبير، احد الامراء المماليك في مصر. ينظر: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٣٩.

(٤٥) منير غبور واحمد عثمان، المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

(٤٦) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية...، ص ١٩-٢٠.

(٤٧) محمد مورو، المصدر السابق، ص ٩١.

(٤٨) ويذكر انه نتيجة لقيام كلوت بك بالقضاء على وباء الكوليرا الذي عصف بمصر عام ١٨٣٠، بعد ما أقدم على انشاء الاستشارات الطبية في معظم المدن المصرية، اذ اولى ذلك اعجاب محمد علي باشا الذي أقدم بدوره على منحه لقب رتبة (بك)، فكان اول من نال هذه الرتبة من الاجانب. ينظر: جورج يانج، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٥١) عمر الاسكندري وسليم حسن، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٥٢) مروه حميد عواد السامرائي، الحركة الثقافية في ظل حكم محمد علي باشا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة سامراء، كلية التربية، العراق، ٢٠١٥، ص ١٣٢.

(٥٣) وذكر بعض المصادر ان عدد السكان جميعاً اثناء نزول الحملة الفرنسية الى مصر، لا يزيد عن ٣,٣٩٨,٠٠٠ مليون نسمة، فلم تكن هنالك تقديرات دقيقة لعدد سكان مصر، باختلاف طبيعة استقرارهم وغاياتهم، يبدو ان وفود العديد من الجاليات في تلك المدة السبب المباشر لاختلاف تلك التقديرات. ينظر:

اسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عصر محمد علي، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص١٠١.

(٥٤) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٢٨٣.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٥٦) يونان لبيب رزق، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٤٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٥٨) اسماعيل سراج الدين، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٥٩) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٦٠) ريمون فلاور، مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر، ترجمة: سيد أحمد علي الناصري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٠٨-١٠٩.

(٦١) ريمون فلاور، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٦٢) خالد فهمي، كل رجال الباشا (محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة)، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٦٦-١٦٨.

(٦٣) جلال يحيى، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٦٤) هاميلتون غب وهارولد باون، المجتمع الاسلامي والغرب، ج١، ترجمة: احمد ايبش، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٢، ص ٢٨٧.

(٦٥) يونان لبيب رزق، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٦٦) عبدالعزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٦٨) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٦٩) نقلاً عن: انور لوقا، ادريس افندي في مصر (مذكرات الفنان والمستشرق الفرنسي بريس دافين في مصر ١٨٠٧-١٨٧٩)، مؤسسة مصر اليوم، القاهرة، ١٩٩١، ص ٧٦.

(٧٠) سلوى العطار، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٧١) وثيقة تم الحصول عليها من: محمد عبد العاطي محمد، مدرس التاريخ والحضارة العثمانية، جامعة سوهاج، كلية الآداب، مصر.

(٧٢) سيار الجميل، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٧٣) سيد عشماوي، الدراسات الحديثة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، مركز البحوث العربية والافريقية، مصر، د.ت، ص ١٠.

(٧٤) هند نجم عبد عباس، الحياة الاجتماعية في مصر (١٧٩٨-١٨٤٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، العراق، ٢٠١٧، ص ٥٥.

(٧٥) نقلاً عن: انور لوقا، المصدر السابق، ص ٢٨-٣١.

(٧٦) ادوارد وليم لاين، المصدر السابق، ٥٧٥-٥٧٨.

(٧٧) احمد عبد العزيز عيسى، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٧٨) ادوارد وليم لاين، المصدر السابق، ص ٥٨٠.

(٧٩) جرمين تيليون، الحريم وابناء العم تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ترجمة: عز الدين الخطابي وادريس كثير، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٢.

(٨٠) هند نجم عبد عباس، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٨٢) وثيقة صادرة من موسوعة العلم والمعرفة في مصر في عصر محمد علي باشا، تم الحصول عليها من: محمد عبد العاطي محمد، مدرس التاريخ والحضارة العثمانية المساعد بكلية الآداب جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية.

(٨٣) وثيقة تم الحصول عليها من: محمد عبد العاطي محمد، مدرس التاريخ والحضارة العثمانية، جامعة سوهاج، كلية الآداب، مصر.